

شرح أصول الكافي

[216] عليهم طاهره وباطنه، جلية وخفية، ضرورية وغير ضرورية حين كونهم أجنة في بطون امهاتهم بلا سبق إستحقاق ولا تقدم إستيهال والتفكر في غناؤه عن عبادتهم وتعذيبهم مع عجزهم ومسكنتهم وفقرهم وحاجتهم إليه وذلهم بين يديه، ومن استقرت في قلبه هذه المعارف حصل له الرجاء بنيل الثواب والمغفرة والرحمة، وثمرته الإتيان بما يوجب الوصول إليها كما أن ثمرة الخوف من العقوبة ترك ما يوجب الورود عليها. (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء) لأن المؤمن لا يخلو من تصور أسباب الخوف والرجاء وتجويز وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الآخر وإنهاء سيره إلى القرب كأهل الايقان، أو إلى العبد كأهل الحرمان بحيث لا يرجع أحدهما على الآخر إذا لو رجع الرجاء لزم الامن لا في موضعه * (أفأمنوا مكرًا إلا القوم الخاسرون " ولو رجع الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك *) (أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " ومنه ظهر أن الخوف غير القنوط وأنه والرجاء ينبغي أن يكونا متساويين مطلقا وقد ذهب إليه أيضا بعض العامة. وقال عياض عبادة الله بين أصليين الرجاء والخوف، ويستحب أن يغلب في حال الصحة الخوف فإذا زاد في الاجل أو انقطع الاجل يستحب أن يغلب الخوف حينئذ خشية أن يقنط فيهلك وفيه أن الدليل لو تم لدل على رجحان الرجاء قبل الاجل أيضا ولم يقل به، والتعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته أيضا قبله، وقد قال وقيل ينبغي أن يغلب الخوف ليكف عن المخالفات ويكثر من الطاعات، فإذا نت أمارات الموت ينبغي أن يغلب الرجاء لأن ثمرة الخوف وهي الإنكفاف والاكتنار في الطاعة تعذرت حينئذ وهو قريب مما ذكر. وقال الابي في كتاب الكمال مقامات الصالحين عند الإحتضار تختلف، فعن بعضهم أن قال لابنه يا بني حدثني عن الرخص لعلني ألقى الله وأنا أحسن الظن به، وعن بعضهم أنه رجي حين إحتضر، وقيل له تقدم على غفور رحيم فقال أفلا تقولون لي تقدم على شديد العقاب على الكبيرة ويؤاخذ بالصغيرة، وهذا بحسب مقامات الخوف بقى شئ وهو أنه قال بعض الافضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية في النشأة الآخرة، وإنما هو من الامر النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي، وفعل الطاعات ما دامت في دار العمل، وأما عند إنقضاء الاجل والخروج من الدنيا التي هي دار العمل فائدة فيه، وأما الرجاء فإنه باق أبدا إلى يوم القيامة لا ينقطع لأنه كلما نال العبد من رحمة الله أكثر كان ازدياد طعمه فيما عند الله أعظم وأشد لأن خزائن جوده وخيره ورحمته غير متناهية لا تبيد ولا تنقص فثبت أن الخوف منقطع والرجاء أبدا لا ينقطع، وفيه نظر لأن الظاهر أن الخوف عن العقوبة أو عن فوات الثواب أو عن فوات التفضل أو عن فوات رفع المنزلة أو عن ظهور أساءة على رؤس الاشهاد أو

